النَّقد الأدبي العربي المعاصر

- مزالق وحلول -

د.صلاح الدين باوية
جامعة جيجل (الجزائر)

ملخص:

تهدف هذه الدِّراسة إلى تبيان مزالق النَّقد الأدبي العربي المعاصر،وهذا إن على مستوى التنظير أو الإجراء،ولعلَّ أولى هذه المزالق عدم إيجاد نظرية نقدية عربية،وكذا هرولة النُّقاد العرب وراء المناهج والنَّظريات الغربية،ثم اجترارها وتطبيقها- طوعًا وكرهًا- على النُّصوص العربية،دون مراعاة للمرجعيات والخصوصيات التاريخية والفنِّية لهذه النصوص،ومن ثمة أصبحت الحاجة مسيسة إلى إيجاد حلول لهذه المزالق والإشكالات،من أجل تجاوز الرَّاهن.

والسُّؤال المطروح هنا،ما هي هذه المزالق التي يتخبط فيها النَّقد الأدبي العربي اليوم؟وما هي الحلول؟.

Résumé :

Cette étude tend à démontrer et analyser les dérapages de la critique arabe contemporaine, sur le plan théorique, comme sur le plan de l'application. L'un des plus graves dérapages reste l'incapacité d'élaborer une théorie critique propre aux arabes. Ce qui a poussés ses derniers à emprunter Les théories critique occidentales, qui sont souvent appliquées sans respecter les spécificités contextuelles et esthétiques des textes littéraires arabes. De ce fait la critique arabe d'aujourd'hui est appelée à résoudre cette sérieuse problématique épistémologique.

Alors, on peut résumer la problématique de l'actuelle étude dans les deux questions suivantes :

Quels sont les dérapages actuels de la critique arabe ? Et quelles sont les solutions proposées pour remédier à ses dérapages.

1 - بدايات النَّقد العربي الحديث :ذكر كثيرٌ من النُّقاد والدَّارسين أن بدايات النهضة الأدبية الحديثة"قد برزت في نهاية القرن الماضي وخلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين"(1)،ومن الأسباب التي"مهَّدت لتلك النَّهضة عدَّة عوامل من المؤكَّد أنَّ أهمَّها كان بعث التراث العربي القديم،بفضل فنّ الطِّباعة الحديثة الذي وفد إلى مصر منذ الحملة الفرنسية،بل منذ تأسيس مطبعة بولاق على وجه محدّد،فبفضل هذا الفنّ أمكن طبع كثير من أمهات كتب الأدب العربي القديمة،ودواوين الشُّعراء،ورسائل البلغاء،وكتب اللُّغة وعلومها ونشر ذلك كله وتداوله"(2).

أما إذا حاولنا البحث عن بدايات ميلاد النَّقد العربي الحديث، فإن الدكتور"يوسف نجم" يرجعها في كتابه"الفنون الأدبية" إلى ثلاثة أعمال وهي على التوالي:

1 - مقدمة إلياذة هوميروس لسليمان البستاني.

2 - تاريخ علم الآداب عند الإفرنج والعرب وفكتور هوجو لروحي الخالدي

3 - منهل الوُرَّاد في علم الانتقاد لقسطاكي الحمصي"

وهناك من الدَّارسين من يضيف إلى هذه الأعمال، كتاب(مقدمة لبلاغة العرب) لأحمد ضيف"(3).

مع الإشارة فإنَّ"أغلب هذه الكتب تندرج في باب الأدب المقارن، فإنها تعدُّ وثائق هامة في تاريخ النَّقد العربي الحديث، نظرا لما تطرحه من تصورات ومفاهيم حول الأدب"(4).

المهم ففي بدايات عصر النهضة الأدبية الحديثة،بدأت تظهر بعض الكتابات التي يمكن أن نسمِّيها تجاوزًا- نقدية- هذه الكتابات كان همُّها الأول والأخير إعادة بعث الأدب العربي من مرقده– أدبًا ونقدًا - ولعلَّ من أبرزها كتاب:"الوسيلة الأدبية في العلوم العربية" للشِّيخ أحمد حسن المرصفي،وبعده بقليل ظهر جيل من الشَّباب الطّموح،آل على نفسه إلاَّ أن يحمل رسالة إحياء وتجديد الأدب العربي. هذا الجيل ذهب إلى تسميته الناقد"صلاح فضل"جيل الأساتذة النقاد"وهو جيل الرُّواد الذين ولدوا حول العقد الأخير من القرن الماضي،حيث شهد عام 1889م على وجه التَّحديد مطلع

معظمهم:طه حسين،عباس محمود العقاد،ميخائيل نعيمة،وقبلهم بقليل ولد عبد الرحمان شكري وأحمد أمين ومن بعدهم جاء إبراهيم عبد القادر المازني وزكي مبارك وأمين الخولي..."(5)،وغيرهم كثير.

هذا الجيل حمل على عاتقه رسالة إحياء الأدب والنقد على حدٍّ سواء،لاسيما وقد تلقى معظم أفراده دراسة أكاديمية في دول أوروبا،فأمكنهم الاطلاع على كلِّ جديد في الأدب والنقد والفنون. "وكان يجب انتظار عصر النهضة،لتصبح غاية النَّقد الرئيسية هي تقييم الأعمال الفِّنية تقيِّمًا جماليًّا منظمًا،وكان هذا نتيجة لعلاقة جديدة بين الأدب والمجتمع"(6).

فكان من نتاج هذا الجيل ظهور تكتلات نقدية ،بداية من العشرينيات،فتأسَّست بعض الجماعات والمدارس الأدبية،مثل جماعة الديوان،والرابطة القلمية بأمريكا،ومدرسة أبولو،وكذلك جماعة العصبة الأندلسية،مما أدى إلى صدور بعض الكتب النَّقدية،حيث إنَّ هذا الجيل"كان عقد العشرينيات من هذا القرن هو الذي شهد انبثاق توهجهم الفكري،فقد صدر فيه كتاب الديوان للعقاد والمازني 1921،والغربال لميخائيل نعيمة عام 1923،وفي الشِّعر الجاهلي لطه حسين عام 1926"(7).

هذه الإصدارات وغيرها، عمدت إلى تأسيس وعي نقدي جديد في الأدب والثَّقافة، اعتمادًا على التُّراث النَّقدي القديم من جهة، وانفتاحًا على التِّيارات الفكرية والمناهج الغربية الجديدة من ناحية أخرى.

2- علاقة النقد العربي بالنقد الغربي: ممَّا لاشكَّ فيه أن العلاقة الموجودة بين الآداب العالمية اليوم- على وجه الخصوص- هي علاقة تكاملية جدُّ وطيدة،تقوم على التأثر والتَّأثير لاسيما في عالم أصبح بمثابة قرية صغيرة،عالم اختزلت فيما بينه المسافات،وقرَّبت فيما بينه شبكات التَّواصل والتحكم في المعلوماتية،مما زاد التقارب والتأثر أكثر فأكثر بين الآداب على اختلاف مشاربها وخصوصياتها،مما يؤكد لنا جليًّا أن"التأثر والتأثير ظاهرة شائعة في الآداب والعلوم والفنون والحضارات،ومن هنا ينبغي أن ننظر إليها من وجهها الإيجابي"(8). وهذا ما يؤكد لنا عن وجود علاقة ليست بالهينة بين النَّقد العربي والنَّقد الغربي الحديث والمعاصر. وربما تعود بدايات هذه العلاقة إلى تلك"البعثات الطُّلابية المصرية إلى أوروبا للدِّراسة والتَّحصيل،وما تمخّض عن ذلك من مكتسبات علمية وفنية"(9).

إنَّ كثيرًا من أفراد هذه البعثات الطُّلابية،اتخذوا من المناهج الغربية ملاذًا لهم، فتشرَّبوا فلسفتَها، وتبنُّوا في معظم الأحيان خلفيتها الفِكرية،وربما الإيديولوجية،فتارة من باب الانبهار بالآخر،وتارة أخرى

من باب فاقد الشِّيء لا يعطيه،ولذا نجدهم في كثيرٍ من الأحيان يلوون عنق النَّص الأدبي العربي،من أجل إخضاعه كرهًا لأحد المناهج الغربية،وربما ما فعله عميد الأدب العربي - طه حسين- في دراسته للشِّعر الجاهلي وتطبيقه مبدأ الشَّك الديكارتي خير دليل.

3- أثر النقد الغربي في الأدب العربي: لقد اجتهد نقاد وشعراء الغرب مرارًا وتكرارًا من أجل تطوير آدابهم،وهذا عن طريق التَّجريب المشروع ومحاولة الاستفادة من الثَّقافات الأخرى قدر الإمكان،ولقد اهتموا بدراسة الآداب القديمة وأساطيرها على نطاق واسع،"فعمل الشُّعراء والنُّقاد الغرب- كما أسلفنا- على إعطاء دينامية جديدة لما هو مخزون في ثنايا الأساطير من قيم إنسانية ورؤى وتعابير ورموز،بإمكانها لو استغلت استغلالا ناجعًا من الوجهة الإبداعية أن تقدم إضافة كبيرة،ليس للقاموس الشِّعري المعاصر فحسب،بل للقيم والرؤى الإنسانية المعاصرة في حدِّ ذاتها"(10).

والمؤكد أن هذه المجهودات وغيرها من طرف نقاد وشعراء الغرب،قد تركت بصماتها الجليَّة على أدبنا العربي الرَّاهن،ولاسيما الإنتاج الشِّعري على وجه الخصوص،فظهر فيه توظيف الرُّموز،وتمثل الأساطير القديمة على اختلافها بشكل لافت للنظر،ولذا برز جليًّا أثر النَّقد الغربي الحديث في الشِّعر العربي المعاصر،وهذا من خلال"العودة إلى استنطاق الأسطورة ومعاودة إحياء بعض رموزها وإيحائياتها ورؤاها لمقاربة الراهن والإحالة على حقيقة العصر الذي نحياه من خلال الشِّعر، متأتية من أثر النقد الغربي الحديث الذي نبَّه الأدباء والشُّعراء العرب المحدثين إلى هذا العنصر

الهام الذي يغذي الشِّعر المعاصر"(11).هذا الأثر ظهر على مستوى الأدب العربي، والإنتاج الشِّعري خاصة، أما على المستوى النَّقدي فحدِّث ولا حرج.

4 - أثر النقد الغربي في النقد العربي: أقل ما يمكن أن يقال لقد حصل انبهار كبير، من طرف النُّقاد العرب أمام النَّظريات النَّقدية الغربية والمذاهب الفلسفية"هذه النَّظريات الأدبية الممتعة،وتلك المذاهب الفلسفية والمدارس التَّحليلية في النَّقد الأوروبي...هذه الدِّراسات الباهرة التي يكتبها النَّاقد الأجنبي هناك..إنها تعمل في نقادنا عمل السِّحر فتبهرهم وتسكرهم وتفقدهم أصالة أذهانهم وتصيب حواسهم المبدعة بشيء يشبه التَّنويم)(12).

هذا الانبهار للأسف،لم يكن من أجل العمل والكدِّ لأجل تطوير الحركة النَّقدية العربية،وإنما كانت له مواقف جدُّ سلبية،فإننا لا نغالي ولا نبالغ "إذا قلنا إنَّ موقف نقادنا من الفكر الأوروبي يكاد يكون موقف استخذاء،إنَّ بعضهم يعتقد اعتقادًا جازمًا أننا أقلّ موهبة من شعراء الغرب،وإنَّ علينا أن نغترف نظرياتهم ونأكلها أكلاً إذا نحن أردنا أن ننشئ شعرًا عربيًّا ونقدًا)(13).

وفي ظل هذه التَّبعية الثَّقافية، والانبهار بالفكر الغربي عمومًا والنقدي خصوصًا، ومن ثمة الاستخذاء دون إقامة أي وزن للتراث العربي عبر مختلف عصوره، ومحاولة الاستفادة من إيجابياته، وتقويم سلبياته.

كلُّ هذا الأمر أوقع النَّاقد العربي في مآزق كثيرة لا تعد ولا تحصى،حيث"أغلق النَّاقد العربي الباب على منابع الفكر والخصوبة والموهبة في ذهنه،وراح يغترف من معين الأساتذة النُّقاد الأوروبيين دون أن يفطن إلى أنَّ النَّقد الأوروبي يتحدر من تاريخ منعزل انعزالاً تامًا عن تاريخنا،وكيف يتاح لنا أن نطبق أسس ذلك النَّقد الأجنبي على شعرنا الذي يتدفق من قلوب غير تلك القلوب،وعصور غير تلك العصور؟"(14).

الحقيقة تقال،إنَّ كلّ نص أدبي إلا ويتميز بخصوصياته،فهو مثل الكائن الحي ينمو ويترعرع في بيئة معينة تنطلي عليه مختلف تأثيراتها ،وبالتالي نجد كل نص أدبي يحمل الصِّفات الوراثية للبيئة التي نشأ وترعرع فيها،بمختلف ملابساتها الطبيعية والنَّفسية والاجتماعية والسِّياسية والثقافية وغيرها...

ولذا تمايزت آداب الأمم واختلفت فيما بينها باختلاف العصر، والطبيعة، والجنس البشري، وأشياء أخرى،من حيث البيئة والطبيعة"فمن المؤكد مثلاً أن الطبيعة الجبلية الباردة لا بد أن تؤثر فيمن يقيمون فيها تأثيرات نفسية،غير التأثيرات التي تحدثها بيئة السهول الزراعية في أبنائها،أو البيئة الصحراوية، ولربما كان لضباب شمال أوربا ووعورة بيئتها الطبيعية وتنوع مشاهد تلك البيئة،أكبر الأثر في تكوين المميزات التي تختص بها آداب تلك المناطق،بينما كان للصّحو والإشراق ووضوح الرُّؤية في بلاد جنوب أوربا كفرنسا وإيطاليا وأسبانيا أثرها القوي في إبراز الوضوح والحرارة التي تتميز بها آداب تلك الشُّعوب)(15).

أما من حيث الجنس البشري على سبيل المثال – لا الحصر- فما من شكٍّ أنّ "للجنس الأنجلو سكسوني وللجنس الجرماني وللجنس اللاتيني خصائص نفسية متميزة،انعكست في أدب كلّ هذه الأجناس،على نحو ما هو واضح عندما نقارن بين أدب أنجلو سكسوني كالأدب الإنجليزي،وأدب جرماني كالأدب الألماني وأدب لاتيني كالأدب الفرنسي،حيث نحس بالطبع النفعي وبالغموض في الأدب الإنجليزي،بينما نحس بالطابع الميتافيزيقي الأسطوري الرُّومانسي في الأدب الألماني،والطابع الفكري والوضوح والرَّشاقة في الأدب الفرنسي)(16).

لكن رغم تمايز الآداب على الأقل من حيث اختلاف البيئة والطبيعة، ومن حيث اختلاف الجنس البشري،إلاَّ أن هذه الخصوصيات لا يعيرها النُّقاد العرب اليوم أدنى اهتمام،بل نجد النَّاقد العربي ينساق إلى كلِّ ما يصدر عن الغرب،من نظريات ومذاهب انسياقًا شديدًا،"فما يكاد النَّاقد العربي اليافع يقرأ ما كتبه إليوت ورتشرذز وبرادلي ومالارميه فاليري وغيرهم،حتى يشتهي أن يطبق ما يقولون على الشِّعر العربي مهما كلفه ذلك من تصنّع وتعسّف وجور على شعرنا ولغتنا)(17).

من خلال ما رأيناه يتضح لنا جليًّا، أنَّ النَّقد العربي المعاصر يعاني مزالق عدَّة،إن على مستوى التنظير أو على مستوى الإجراء.

5- المزالق التي يواجهها النقد العربي اليوم: لعلَّ من بين أهم المزالق التي يواجهها نقدنا العربي اليوم ما يلي:

5.1 - تبني المناهج الغربية: تعتبر المناهج النَّقدية عبارة عن آليات وأدوات إجرائية في يد الناقد إذا أحسن توظيفها،فبلا شك سوف يتحصل على نتائج إيجابية في إطار تحليله للنُّصوص الأدبية،لكن ينبغي أن نوضح هنا أن هذه المناهج في نشأتها تستند إلى خلفيات ثقافية ومرجعيات فلسفية فكرية،لكن نجد تبنِّيها من طرف النُّقاد العرب دون أيِّ حرج،ودون أيِّ مراعاة لخصوصيات النّصوص الأدبية العربية"إنَّ هذا التبنِّي للمناهج الغربية هو قمع لوجود النَّص عينه،من منظومته الثَّقافية التي أنتجته"(18)،وبالتالي إن ظاهرة استهواء الأفكار والسُّكْر بالنظريات والمذاهب والمناهج الغربية،تأتي على رأس قائمة المزالق التي يواجهها نقدنا العربي المعاصر.

5.2 - النقد الذاتي مخالفٌ لطبيعة العرب: الإنسان العربي بطبيعته معجب بنفسه وبأعماله أيما إعجاب،وربما تحوّل هذا الإعجاب في كثير من الأحيان إلى ما يشبه النّرجسية القاتلة،ولذا نجده لا يتحمّل النَّقد الذَّاتي لكلِّ ما يصدر عنه من أفعال وأقوال ذلك أنَّ"النَّقد الذَّاتي شيء مخالف للطبيعة العربية،وقناعة العربي بتفوّقه،وتميّزه وسوبرمانيَّته،قناعة لا تقهر"(19).هذه القناعة الرَّاسخة أوقعته في عديد من الأخطاء،مثل عدم التواضع ومحاولة الاستفادة من تجارب الآخرين.

5.3 - عناية النقاد العرب بالمضمون وإهمال الأداة المُعبِّرة عنه: يعتبر إهمال الأداة المعبِّرة عن المضمون منزلقًا من مزالق النَّقد العربي المعاصر،حيث إنَّ"جوهر الظاهرة التي لفتت نظرنا في نقدنا المعاصر،وفسرناها بأنها في حقيقتها موجة من العناية بالمضمون جرفت النُّقاد العرب اليوم حتى أهملوا الأداة التي يعبر بها عن ذلك المضمون"(20).

ونقصد بالأداة المعبِّرة عن المضمون هنا"اللغة"،ذلك أنَّ اللُّغة هي عنصر أساسي في الإبداع الأدبي والكلمة هي أداة الأدب ودعامته الكبرى إذ"تتميز أداة الأدب برمزيتها المطلقة،فالكلمة حقيقة صوتية أو كتابية،وتحمل وظيفتها الدّلالية بإثارة الصُّور المادية والذِّهنية،في التَّصور والذَّاكرة،وفق أعراف لكل مجتمع لغوي"(21)،لكن رغم أهمية اللغة في الإبداع الأدبي وضرورة سلامتها من الأخطاء،إلا أننا نجد كثيرًا من النقاد يتغاضون عن تلك الأخطاء التي يقع فيها المبدعون،حيث"تتجلَّى لمن يراقب النَّقد العربي المعاصر،ظاهرة خطيرة شائعة فيه، ملخصها أن النقاد يتغاضون تغاضيًا تامًا عن الأخطاء.

اللُّغوية والنَّحوية والإملائية، فلا يشيرون إليها ولا يحتجُّون عليها"(22)، لا من قريب، ولا من بعيد. ونحن نعلن أن المسؤولية الكاملة في الحفاظ عن اللغة العربية تقع على عاتق المبدعين والكتاب والأساتذة والمعلمين"وعلى النَّاقد العربي يقع قسط كبير من حماية اللُّغة العربية الجميلة،من كل دعوة مريضة للعبث بها"(23).

فاللغة العربية هي هوية هذه الأمة ومرجعيتها الأساسية،فبها نزل القرآن الكريم،وبالتالي فإنَّ المحافظة عليها هي مسؤولية الأمة العربية جمعاء.

5.4- تسليط الاهتمام على الفنان المبدع لا الإبداع: إذا كان قد شاع في النَّقد الغربي المعاصر،وتحديدًا عند أصحاب الاتجاه البنيوي،ما يُسمَّى بـ:"موت المؤلف"،وهو بطبيعة الحال لا يعني الموت الجسدي،وإنما ضرورة عدم الاعتداد بدوره في قراءة النص وتفسيره ،أو فيما معناه تسليط الاهتمام على النَّص المؤلَّف،لا المؤلِّف،و"ما من شك أن مفهوم "موت المؤلف"قد أسهم في تشكيل مقولات وآراء وافتراضات أوليَّة حول القراءة والكتابة،فالبنيوية أثارت من جملة ما اهتمت به من مكونات النَّص،القارئ والقراءة،والتَّفاعل بين النص والقارئ"(24).

لكن على خلاف هذا ،وللأسف ففي نقدنا العربي المعاصر"أحد المزالق الشَّائعة التي يكثر سقوط النَّاقد العربي المعاصر فيها،منزلق يغلب على ظنِّنا أنه صدى للأبحاث السِّيكولوجيَّة الحديثة التي تصب اهتمامًا ضخمًا على الفنان

نفسه،حين تحاول تقديم إنتاجه الفني"(25).وربما نلاحظ هذا المنحى في كثير من المؤلفات التي تحاول أن تعرّف بالشّخصيات الأدبية والفكرية بتقديم سير ذاتية عنها.

5.5 – النقد التجزيئي: يعتبر هذا النّوع من النَّقد منزلقًا من المزالق الخطيرة في نقدنا العربي المعاصر،وذلك حينما يهتم الناقد بشكل النَّص الأدبي،على حساب المضمون،أو المضمون على حساب الشكل،ولا يهتم بكافة جزئيات هذا النص ،حتى أصبح هناك فئتان من النُّقاد في نقدنا العربي المعاصر،ما يعرف بأنصار الشكل،وما يعرف بأنصار المضمون حيث"صرفت فئة كبيرة من النُّقاد اهتمامها الأكبر إلى المضمون،وصرفت فئة أخرى هذا الاهتمام إلى الشَّكل"(26)،والأصح وجوب تقييم النَّص الأدبي بشقّيه الشكل والمضمون،فمن غير شك أن هذه التجزئة ليست في صالح العملية النقدية،ولا النص.

ومنه يمكن القول من منحى آخر،إنَّ النَّقد التجزيئي:"هو ذلك النَّقد الذي يتناول القصيدة تناولا تفصيليًّا يقف عند المظاهر الخارجية ويعفي نفسه من معالجة القصيدة باعتبارها هيكلاً فنيًّا مكتملاً"(27).

فمن المفترض أن لا يجزأ النَّص الأدبي إلى جزئيات،وإنما يدرس من جميع وجهاته وحدة كلية متكاملة.

5.6- الاطمئنان إلى النصوص الأدبية: إن صفة الاطمئنان في مواجهة النصوص الأدبية،ينبغي أن يتخلَّى عنها النَّاقد،ويتجرّد منها كليًّا ذلك أن هذه النصوص تحمل أكثر من أبعاد ومحمولات مختلفة، مثقلة بالمضمون الفكري لا تتكشَّف للنَّاقد من الوهلة الأولى،ومنه ينجذب الناقد إلى منزلق الاطمئنان إذا دخل ميدان النقد"المضلل دون نظريات تقوده،ولا مذاهب توجهه ولا أسس يعتمد عليها في أحكامه"(28)،علما أن القارئ المثقف لا يسلم عنانه وقياده للعمل الأدبي بشكل أعمى.

5.7- تبيان سلبيات أو إيجابيات النصوص: إنَّ المبتغى والهدف العام من العملية النقدية،هو تبيان سلبيات وإيجابيات النُّصوص الأدبية فالسَّلبيات من أجل اجتنابها،أما الإيجابيات فمن أجل الإقتداء بها والحذو حذوها،لكن وللأسف نجد كثيرًا من النُّقاد العرب المعاصرين من يسرف في إيضاح السّلبيات على حساب الإيجابيات،والعكس صحيح،وهذا يتنافى مع النقد الأكاديمي الممنهج.

5.8- سلبية الأحكام على النصوص: إنَّ سلبية الأحكام على النُّصوص دون السَّعي إلى محاولة تبيان مواطن الجمال فيها،تعتبر أيضًا أحد المزالق التي يعاني منها نقدنا العربي اليوم،فالناقد العربي وللأسف أعتاد"أن يكون سلبيًّا في أحكامه فبدلا من أن يدلّ على مواطن الجمال في الشِّعر المنقود،يكتفي بتبرئته من المعايب الشائعة"(29).

مثل هذه الأحكام تعتبر أحكاما جزافية،ينبغي مراجعتها وإعادة النظر فيها من خلال تمحيص النصوص تمحيصًا شافيًّا كافيًا،لا يترك الرّيب في الأحكام المنجرة عنه.

5.9- صعوبة تمييز لغة واحدة في نقدنا العربي المعاصر: يذهب بعض النقاد ومن بينهم "محمد جمال باروت"،إلى صعوبة تمييز لغة واحدة في نقدنا العربي المعاصر،بل يمكن تمييِّز عدّة لغات،لكن مجمل هذه اللغات ما هي إلا تنويعا في ثقافة الغزو"إنَّ من الصعب – مثلا- الحديث عن لغة بنيوية واحدة بقدر ما يصح الحديث عن لغات بنيوية: "كمال أبو ديب- أدونيس-خالدة سعيد-محمد بنيس-يمنى العيد- عدنان بن ذريل-إلياس خوري-طاهر لبيب..."(30)،وهذا ما يدلُّ على التَّقليد والانبهار بالآخر،دون وعي بالأنا العربية المعاصرة.

5.10 – ظاهرة شيوع غير المتخصِّصين من النُّقاد: لاشكَّ أن هذه الظاهرة تعدُّ سابقة خطيرة في نقدنا العربي المعاصر،وربما تعدُّ أكثر خطورة من المزالق التي رأيناها سابقًا،حيث أصبح كلّ من هبَّ ودبَّ يدَّعي اشتغاله بالنَّقد،وهذه لعمري الطامة الكبرى،وإلا"فبم نفسر ظاهرة شيوع غير المتخصصين بين النقاد؟وبم نفسر ظاهرة الخلط الشَّديد بين تاريخ الأدب ونقده،وبين نقد الأدب والكتابة عنه،وبين الكتابة عن الأدب ورصد قيمه الجمالية الاقتصادية؟"(31).

دون أدنى شكّ أن هذه المزالق التي ذكرناها تعتبر غيضًا من فيض،ولا تمثل كلّ المزالق التي يواجهها نقدنا العربي المعاصر اليوم،فالمزالق كثيرة والمعوقات أكثر،لاسيما في عصر تميز بالثورة المعلوماتية،وبالعولمة والانفجار العلمي،وبجديد من الاكتشافات في كل حين،فأصبح هذا العالم ينتج نصوصًا تجاوزية،ترتبط بالماضي ومقوماته،وتستشرف المستقبل وطموحاته،مما جعل مهمة الناقد اليوم، هي أكثر صعوبة مما كانت عليه بالأمس،إضافة إلى ضرورة تحلّيه بالثّقافة الموسوعية،وبالحنكة،حيث أصبح لزامًا عليه"أن يتحرَّر من سلطة النَّص، لكي يقرأ مالا يقوله،ولكن انطلاقا مما يقوله وبسبب ما يقوله"(32).

المهم من خلال محاولة – حصر -كلّ هذه المزالق السَّابقة الذكر أمكننا القول،إنَّ النقد العربي المعاصر يعاني أزمة لا ريب فيها.

6- أزمة النقد العربي المعاصر: لقد أقرَّ كثيرٌ من النُّقاد العرب المحدثين أن النَّقد العربي اليوم،يعاني أزمة حقيقية،وإن اختلفت مناحيها ومسبباتها،والإقرار بوجود أزمة دلالة عن الوعي بالذَّات ومحاولة تجاوز هذا الواقع الرَّاهن. وبالتالي التأصيل والتأسيس لنقد عربي جديد، فمن بين الذين أقرُّوا بهذه الأزمة، على سبيل المثال

– لا الحصر - فهذا"**سيد بحراوي**"يذهب إلى القول:"إنَّ النَّقد العربي يعيش حالة أزمة،ومن مظاهر هذه الأزمة غياب تام لدور النَّقد في الحياة الثَّقافية- غياب المنهج الواضح،الشِّيء الذي يترتب عنه عدم تبلور مدارس نقدية عربية تقدم رؤية متكاملة للعمل الأدبي"(33)،وسيد بحراوي محقٌ دون ريب،إذ نجده يؤكّد مرَّة ثانية ما ذهب إليه مركزًا على الأزمة المنهجية قائلاً:" تتفشَّى الأزمة المنهجية التي تتمثل في عدم قدرة نقادنا المحدثين والمعاصرين على تحقيق طموحهم،لامتلاك المنهج أو المناهج العلمية المتكاملة،والمتناسقة التي تسمح لهم بالتَّعامل مع نصوصنا الأدبية تعاملا علميا.."(34).

بل يذهب النَّاقد"**إدوارد سعيد**"،إلى أنَّ العالم العربي منهمك فيما أسماه النَّسخ المباشر،ويعلِّل ما ذهب إليه من خلال قوله:"ويساورني الانطباع بأننا في العالم العربي نقوم بالنَّسخ المباشر،ما إن يقرأ الواحد منا كتابا من تأليف"فوكو وكرامشي،حتى يرغب في التَّحول إلى "كرامشوي"أو "فوكوي"،لا توجد محاولة لتحويل تلك الأفكار إلى شيء ذي صلة بالعالم العربي"(35).

ولا نقف فقط عند هذا الإقرار المرير بوجود أزمة نقدية عربية،بل"يصف **لطفي اليوسفي** الخطاب النَّقدي العربي المعاصر بأنه"خطاب محنة"،يحركه وعي "شقي"،فهو مرتهن من جهة بالرؤية التَّقليدية التي ترى الحديث النقدي"فعل تميِّز لجيد الأدب من رديئه"،ومنوط من جهة ثانية بأوهام الحداثة وادعاءاتها،حيث الهرب إلى الثَّقافة الغربية لاستلاف ما ابتدعته من مفاهيم،واقتطاعها من منابتها لإنزالها قهرا في أدبنا"(36).

وعلى المنوال نفسه يقرُّ الأستاذ"**محمود ميري**"بهذه الأزمة من خلال قوله:"والخلاصة أن هناك أزمة نقدية يعيشها الخطاب النَّقدي العربي،وإن كانت الأزمة لا تعرفها إلا الكيانات التي تتحرك،وكلمة أزمة هنا لا ينبغي أن نفهمها بالمعنى المتداول،أي أنها مأزق أو أفق مسدود لا يمكن الخروج منه"(37). ولعلَّ الإقرار بأزمة النَّقد العربي المعاصر،هي ما دفع الناقد الجزائري "**عبد الملك مرتاض**"إلى توجيه انتقاداته للنُّقاد العرب،معيبًا عليهم طريقة تعليمهم للنقد الحديث،قائلا في السِّياق نفسه بأن جميعهم

يلوكون بألسنتهم المصطلحات الغربية،بل الأكثر من هذا " قد رفض عبد الملك مرتاض- في المؤتمر

المنعقد يوم 25 يناير 2004 ورغم جهوده الكثيفة- القول بوجود نظرية نقدية عربية،وقال:لا توجد نظرية نقدية عربية،نحن جميعا من طنجة إلى البحرين عالة على النظرية النقدية الغربية المعاصرة"(38). إنَّ جميع هذه الاعترافات تتسم بالشَّجاعة الكافية من طرف نقادنا،وهي دلالة عن وجود الوعي بضرورة التَّخلص من التَّبعية النَّقدية الغربية،والبحث عن حلول عملية لاجتثاث جذور هذه الأزمة الضاربة أطنابها،والقضاء على جميع مزالقها،ومن ثمة

التأسيس لنقد عربي أصيل،وفي هذا الشَّأن نقترح بعض الحلول التي نراها ملائمة للخروج من هــذه الأزمـــة،من بــين الحلول التي نقترحها:

01- العودة إلى التُّراث النَّقدي العربي الأصيل،واستيعاب كل ما جاء فيه،والعمل على غربلته والاستفادة منه.

02- العمل على توحيد المصطلحات النَّقدية أثناء عملية الترجمة عن الآخر.

03- ضرورة الاشتغال من أجل تأسيس منهج نقدي عربي ينطلق من خصوصيات النَّص العربي، ويستند إلى الــرؤى الثقافية والفلسفية العربية.

04- الانفتاح على التجارب النقدية الغربية، وضرورة الاستفادة منها دون الانبهار والاستلاب أمام تجارب الآخرين.

05- ضرورة التحكم في المنهج النقدي، حتى لا تكون هناك هوَّة بين التَّنظير والإجراء.

06- ضرورة الانطلاق من بنيات النص الأدبي العربي، واحترام خصوصياته الثقافية والحضارية

07- العمل على إيجاد نقد(استعجالي) يواكب النصوص الإبداعية التي تظهر هنـا وهنـاك علـى صـفحات الجرائـد والصحف، وهذا حتى لا يتخلَّف النَّقد عن مسيرة الإبداع ويكون مصاحبًا له ومتماشيًا معه.

08- العمل على طبع البحوث الجامعية الأكاديمية، التي تهتم بالنقد حتى لا تبقى حبيسة الأدراج.

09- تنظيم عديدًا من المسابقات سنويًا، تشجع المهتمين بالنَّقد والعمل على طبع الأعمال الفائزة.

10- ضرورة العمل على تكوين وإيجاد صِحافة ثقافية أدبية، تهتم بالنَّقد والنُّقاد، ومنه تخصيص مجلات وجرائد خاصة بالأدب والنقد.

هذه بعض الحلول التي نقترحها من أجل بالنهوض بحركة النقد العربي المعاصر،ذلك أنَّ النقد العربي المعاصر،من خلال كلّ ما مرَّ بنا،من المؤكد يحتاج إلى إعادة نظر شاملة،دون أن ننفي جهود نقادنا في محاولة إثرائه مرارًا وتكرارًا،إلاَّ أنَّنـا اليـوم بحاجة إلى نقد التَّأسيس والتَّأصيل،ذلك أن نقد التَّأسيس والتأصيل"يجعل الإبداع متجدِّدًا فهو يؤطِّر النَّص ويعالج إشكاليته لكنَّـه لا يغلق الأبواب أمامه بل يفتح الفضاء أمامه ليتجدَّد"(39)،مع تجدُّد العصر. بل إنَّ"النَّقد- الذي نريده في إطار الجدَّة- طامحًا إلـى معالجة الآثار الأدبية علاجًا منظمًا،يكشف عن أفكارها وقيمها،ويجيب عن شتَّى أسئلة تدور حـول الصِّـلة بـين الأدب ومادتـه الموروثة،وبين الأدب وإيديولوجيات العصر،وبين الأدب وحياة الفنان وعلاقته بـالمجتمع فـي ماضـيه وحاضـره علـى حـد سواء."(40)،وهذا النَّقد لا يتحقَّق إلا في إطار التأسيس لنقد محلي عربي"فلنكفّ عن الانحناء للغرب،إننا قد سئمنا سماع الكلمـات الفرنسية والانكليزية في النقد العربي وأصبحنا نتعطش إلى نقد محلي،التجديد فيه منبعه العروبة"(41). ختامًا قد لا يتحقَّق مثل هذا النَّقد المتطلَّع إليه،إلاَّ بوجود شروط تحقّق النَّقد البنَّاء الهادف، وكذا حتمية وجود النَّاقد العمدة المحترم،هذا النَّاقد الذي هو"كاتـب وقارئ،وناقد في نفس الوقت ومن واجبه أن يستدعي بالقوة كلّ هذه الأدوار،ليستوعب النَّص استيعابًا شاملاً جامعًا مانعًا،يهتك به قدسية(جموح)هذا النَّص ويحوِّله إلى شيء قابل للانتفاع شكلاً ومضمونًا"(42)،وما نحسب الأمَّة العربية الإسلامية بعد،قد عقمـت على أن تنجب مثل هذا الناقد العمدة،وقد أنجبت أمثاله كثيرين عبر مختلف العصور.

إحالات وهوامش:

(1) حسين المنيعي،عن النَّقد العربي الحديث (ومقالات أخرى)،مطبعة سِنْدي،مكناس،ط .1، 2000 ،ص09 .

(2) محمد مندور،النقد والنقاد المعاصرون،مطبعة نهضة مصر، الفجالة،القاهرة،د.ط،د.ت،ص07 .

(3) حسين المنيعي،عن النقد العربي الحديث (ومقالات أخرى)،ص 09 .

(4) المرجع نفسه،ص10.

(5) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء،ط.2، 2013،ص142 .

(6) أ.غسان لطفي،القراءة والتلقي بين النقاد الأكاديميين الجدد في فرنسا،مجلة الناص،ع08،قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة جيجل،مارس 2008،ص54.

(7) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، 142.

(8) بوجمعة بوبعيو،حضور الرؤيا واختفاء المتن،دراسة في علاقة الأسطورة بالشعر العربي المعاصر،مطبعة المعارف،عنابة، ط.1، ماي2006،ص40.

(9) حسين المنيعي،عن النقد العربي الحديث (ومقالات أخرى)،ص 13 .
(10) بوجمعة بوبعيو،حضور الرؤيا واختفاء المتن،دراسة في علاقة الأسطورة بالشعر العربي المعاصر،ص41.
(11) المرجع نفسه،ص38.
(12) نازك الملائكة،قضايا الشعر المعاصر،دار العلم للملايين بيروت،ط.5، ماي1978 ،ص335 .
(13) المرجع نفسه،ص336.
(14) المرجع نفسه،ص334.
(15) محمد مندور،الأدب وفنونه،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،مدينة السادس من أكتوبر،ط.2، سبتمبر 2002 ، ص141 .
(16) المرجع نفسه،ص140.
(17) نازك الملائكة،قضايا الشعر المعاصر،ص335.
(18) أ.بدرة فرخي،النقد العربي بين حقيقتي الإبداع والإتباع،مجلة الناص،العدد 07،قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة جيجل، مارس 2007،ص203.
(19) نزار قباني، قصتي مع الشعر - سيرة ذاتية- منشورات نزار قباني، بيروت، ص218 .
(20) نازك الملائكة،قضايا الشعر المعاصر،ص333.
(21)فايز الداية،جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي،دراسات أسلوبية،دار الفكر المعاصر بيروت،ط.2، 1990،ص53 .
(22) نازك الملائكة،قضايا الشعر المعاصر،ص325.
(23) المرجع نفسه،ص327.
(24) أ.غسان لطفي،القراءة والتلقي بين النقاد الأكاديميين الجدد في فرنسا،مجلة الناص،ص54.
(25) نازك الملائكة،قضايا الشعر المعاصر،ص320.
(26) محمد مندور،الأدب وفنونه،ص144 ،145.
(27)نازك الملائكة،قضايا الشعر المعاصر،ص322.
(28) المرجع نفسه،ص320.
(29) المرجع نفسه،ص323.
(30)ينظر محمود ميري،أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث أزمة ثقافة أم أزمة منهج؟،مجلة علامات،مجلة ثقافية محكمة،المدينة الجديدة- مكناس،العدد30، 2008،ص 115.
(31) أحمد كمال زكي،النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته،دار النهضة العربية بيروت،ط.2، 1981 ،ص21 .
(32) علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي بيروت، 1993، ص22، نقلا عن عبد القادر الرباعي، جماليات المعنى الشعري التشكيل والتأويل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط.1 ، 1998،ص193 .
(33) الثقافة الجديدة المصرية،عدد12، 1986 ،ص110،نقلا عن محمود ميري،أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث أزمة ثقافة أم أزمة منهج؟،مجلة علامات،العدد30، 2008،ص 115.
(34)ينظر سيد بحراوي،أدب ونقد المصرية،العدد116،أفريل 1995، نقلا عن محمود ميري،أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث أزمة ثقافة أم أزمة منهج؟،مجلة علامات،ص 118.
(35)محمود ميري،أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث أزمة ثقافة أم أزمة منهج؟،مجلة علامات،ص 119.
(36) المرجع نفسه،ص116.
(37) المرجع نفسه،ص117.
(38) أ.بدرة فرخي،النقد العربي بين حقيقتي الإبداع والإتباع،ص204.
(39) محمد الصالح خرفي،الشعراء النقاد في الجامعة الجزائرية يوسف وغليسي وعلي ملاحي نموذجا،مجلة الناص،العدد07،قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة جيجل،مارس 2007،ص101.
(40) أحمد كمال زكي،النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته،ص23 .
(41) نازك الملائكة،قضايا الشعر المعاصر،ص337.
(42) محمد الأمين شيخة،عتبات الولوج إلى أساليب النص الشعري الحديث،مجلة الناص،العدد 08،قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة جيجل،مارس 2008،ص70.